أثر زيارة أربعينية الامام الحسين عليه السلام في مقاومة نظام البعث

-أحداث صفر ١٩٧٧ انموذجاً-

أ. م. د. سيف عدنان ارحيم القيسي

الجامعة العراقية – كلية الآداب

الملخص

منذ استشهاد الامام الحسين عليه السلام في العاشر من محرم ٦١هـ، والمسلمون الشيعة ملتزمون بأحياء تلك المناسبة الدينية والتي عرفت بالشعائر الحسينية وأصبح شهر محرم يمثل شهراً للحزن، وأصبحت قصة استشهاد الحسين عليه السلام تمثل رمزاً للثورة على الظلم ونصرة للمظلومين.

وبمرور السنوات أصبحت هذه الذكرى تشكل تهديداً وتحدياً كبيراً للأنظمة الحاكمة في العراق، بل عملت على التضييق عليها ومنعها خوفاً من الجموع الزائرة المتوجهة الى كربلاء المقدسة والتي تشمل انحاء العراق المختلفة، والتي ربما تثور بوجه تلك الحكومات بسبب سياستها تجاه الشعب، وهذا ما حدث في احداث ماعرف بإحداث صفر او انتفاضة صفر ١٩٧٧.

لقد حاول البعث منذ مجيئه للسلطة في عام ١٩٦٨ الغاء تلك المراسيم الدينية التي يتمسك بها المسلمون الشيعة منذ قرون عديدة، وتغيير تلك المناسبة الى ايام فرح، والتي عدها المسلمون الشيعة استفزازاً لمشاعرهم ولا يتحملها شعورهم العاطفي مع مأساة الحسين عليه السلام.

أن اول ما بدأه نظام البعث هو العمل على تحجيم دور المرجعية الدينية محاولاً إحداث شرخاً في صفوفها، والعمل على اضعافها وزعزعة مكانتها الدينية في نفوس اتباعها وجعلها تنأى بنفسها عن الوقوف بوجه النظام وهذا ما حدث عندما وجهت اصابع الاتهام للسيد

مهدي الحكيم ابن المرجع الديني السيد محسن الحكيم واتهامه بالجاسوسية في عام ١٩٦٩م.

وعلى الرغم من وضوح الهدف من تلك الفبركة من قبل البعث ومحاولته اضعاف مكانة المرجعية الدينية والزيارة الاربعينية التي تعد في حقيقتها تجديداً لوحدة المسلمون الشيعة، تفجر ذلك الموقف في احداث صفر ١٩٧٧م.

والغريب ان نظام البعث في اجراءاته هذه اعتمد على المؤازرة من حليفة الحزب الشيوعي العراقي والذي يعود تحالفهم الى ايام الجبهة الوطنية والقومية التقدمية التي انبثقت عام ١٩٧٣م محاولين اعتماد المنهج العلماني للوقوف بوجه التيار الديني وهو ما ستبينه اوراق البحث.

The effects of Imam Hussein's Arbaeen in the resistance against the Baath regime – Suffr's uprising 1977 as an example

Prof. Saif Adnan Arheem Al-Qaisi

Faculty of Literatures – Al-Iraqia University

Abstract

Since the martyrdom of Imam Hussein on the tenth of the Islamic month of Muharram 61 Hijri, the Shiite Muslims are committed to the revival of the religious rituals known as "Al-Sha'air al-Husseiniya", as the Islamic month of Muharram has become a time of sadness, while the story of the martyrdom of Hussein "pbuh" became a symbol of revolution against injustice and a major support for the oppressed.

Over the years, this anniversary has become a threat and a major challenge to the ruling regimes in Iraq, who worked to prevent it for fear of crowds heading the holy city of Karbala, which could arise against these governments because of its policies towards the people. This fear has become true in the uprising known as "Suffar 1977".

Since its coming to power in 1968, the Baath regime has tried to abolish these religious decrees held by Shiite Muslims for many centuries, and to change them into days of joy, which considered by Shia Muslims as a provocation to their feelings and intolerance of their emotional feelings with the tragedy of Hussein.

تمهيد

منذ استشهاد الامام الحسين عليه السلام في العاشر من محرم ٦١هـ، والمسلمون الشيعة ملتزمون بإحياء تلك المناسبة الدينية التي عرفت بالشعائر الحسينية وأصبح شهر محرم يمثل شهراً للحزن، وأصبحت قصة استشهاد الحسين عليه السلام تمثل رمزاً للثورة على الظلم ونصرة للمظلومين. وبمرور السنوات أصبحت هذه الذكرى تشكل تهديداً وتحدياً كبيراً للأنظمة الحاكمة في العراق، بل عملت على التضييق عليها ومنعها خوفاً من الجموع الزائرة المتوجهة الى كربلاء التي تشمل انحاء العراق المختلفة، والتي ربما تثور بوجه تلك الحكومات بسبب سياستها تجاه الشعب، وهذا ما حدث في ما عرف بأحداث صفر أو انتفاضة صفر ١٩٧٧.

لقد حاول البعث منذ مجيئه للسلطة في عام ١٩٦٨ إلغاء تلك المراسيم الدينية التي يتمسك بها المسلمون الشيعة منذ قرون عديدة، محاولين تغيير تلك المناسبة الى أيام فرح والتي عدَّها المسلمون الشيعة استفزازاً لمشاعرهم ولا يتحملها شعورهم العاطفي مع مأساة الحسين عليه السلام.

أن اول ما بدأه نظام البعث هو العمل على تحجيم دور المرجعية الدينية محاولاً إحداث شرخ في صفوفها، والعمل على إضعافها وزعزعة مكانتها الدينية في نفوس أتباعها وجعلها تنأى بنفسها عن الوقوف بوجه النظام وهذا ما حدث عندما وجهت أصابع الاتهام للسيد مهدي الحكيم نجل المرجع الديني محسن الحكيم واتهامه بالجاسوسية في عام ١٩٦٩.

وبالرغم من وضوح الهدف من تلك الفبركة من قبل البعث ومحاولته إضعاف مكانة المرجعية الدينية وزيارة الأربعين التي تعد في حقيقتها تجديداً لوحدة المسلمين الشيعة، تفجر ذلك الموقف في أحداث صفر ١٩٧٧.

الغريب إن نظام البعث اعتمد في إجراءاته على المؤازرة من حليفه الحزب الشيوعي العراقي حيث يعود تحالفهم الى أيام الجبهة الوطنية والقومية التقدمية التي انبثقت عام ١٩٧٣ محاولين اعتماد المنهج العلماني للوقوف بوجه التيار الديني وهو ما ستبينه أوراق البحث.

بدايات المواجهة

لا يراد هنا تتبع بداية جذور الصراع الطائفي في العراق، لاسيما موقف الشيعة المعارض لأنظمة الحكم التي عدّوها بأنها هضمت حقوقهم نتيجة لسياسة الإهمال بحقهم، فبقيت المعارضة الشيعية احتمالاً قائماً، لاسيما بعد وصول حزب البعث للسلطة في ١٧ تموز ١٩٦٨، فلقد كانت للمرجعية مواجهة ولكن من نوع آخر هذه المرة اتسم بالعنف عندما بدأ البعث يتخذ من استخدام العنف تجاه خصومهم المعارضين، والبداية تعود انه تم الاتصال المرجعية الدينية من قبل البعث قبل الانقلاب والسؤال ماذا(تريدون)؟ وبهذا كانت المرجعية قد تهيأت للحدث، وكان لديها تصور بأن رئيس الجمهورية عبد الرحمن عارف لن يبقى، وكان الموقف لا محاربة ولا مسالمة، وتمت لقاءات جمعت بين وكيل المرجع الديني في بغداد والرئيس احمد حسن البكر، حول مشروع جامعة الكوفة الذي

تبنته الحوزة الدينية في النجف، ولقاءات أخرى حول عدم شمول طلبة الحوزة الدينية بالخدمة العسكرية، وكان جواب البكر أنهم يعدونهم للجهاد[١].

والواقع أنه نظراً للشكوك والرفض الذي لاقاه النظام البعثي من قبل القوى السياسية الاخرى في البداية فإن إحساسه بالهشاشة، دفعه اضافة الى ذلك العمل على ترويع خصومهم أو العمل على كسب شعبية لدى المواطن، ولكن ترويع المعارضة كان هو الطاغي على ما يبدو، والتزام جانب الخشونة في تحطيم ما عرف بمصطلحهم بـ«المؤامرات»، و«كسر حلقات التجسس»، وذاك ما نالت منه المرجعية الدينية نصيباً وافراً[٢].

أن الامثلة المطولة أعلاه ليست ممارسة نادرة، بل هي متأصلة في نهج البعث المستند الى عنصرين أساسيين كما دلت الاحداث على ذلك وهي:

١. خلق سيناريوهات خيانة وغدر وهمية.
٢. جذور شوفينية في التعامل والتحليل مع الخصوم[٣].

وأن بداية الصراع بين الحكومة والمرجعية الدينية يعود الى حزيران ١٩٦٩ عندما بدأ السيد الحكيم بزيارة الى بغداد واللقاء بممثلي المرجعية الدينية والتي عدَّها البعث بأنها موجهة ضدهم لتوجه التهمة هذه المرة الى نجل المرجع الاعلى السيد مهدي الحكيم واتهامه بالتجسس لصالح الولايات المتحدة الامريكية وإسرائيل[٤].

المفارقة ان السيد مهدي الحكيم وقبل ساعات من اتهامه على شاشات التلفاز كان في زيارة للقصر الجمهوري للمطالبة بالرد على مذكرة سبق وأن قدَّمها للنظام والتي يحتج بها على تصرفات النظام ويقدم مقترحات محددة بشأنها وقد قال له الرئيس العراقي احمد حسن البكر، أنهم سيردّون عليه غداً[٥]، ويبدو ان الرد جاء سريعاً للتخلص من النقد الذي كان يوجهه لهم.

ومما حفز النظام على خلق جبهة معارضة للقوى الدينية هو تبنيه سياسة تقوم على أساس العلمانية السياسية، وبداية تحجيم نفوذ الدور الديني، هذا من جانب ويبدو أن الجبهة الوطنية والقومية التقدمية ١٩٧٣ بين الحزبين المتحالفين البعث – الشيوعي قد أعطت تصوراً أكثر وضوحاً بأن الحزب الشيوعي هو الآخر يناقض الدين فتناول أحداث كربلاء بقراءة يشوبها التشويش وعدم الفهم العميق للأحداث، ربما يعود لهيمنة السلطة على مقاليد الحكم من جهة وضعف الجهاز الحزبي للحزب الشيوعي من جهة أخرى في ظل سياسة تقليم دوره الجماهيري، إضافة لدور الإعلام الحكومي في بلورة ضبابية لتصوير تلك الأحداث، يبدو أن عقد الجبهة كان بداية لانحسار نفوذ (ح. ش. ع) والقوى الحزبية الديمقراطية، لاسيما ما بدأه حزب البعث من تحجيم نفوذ تلك القوى، فيصف أحد الكتاب المهتمين بالشأن العراقي بأنه «أنتج فراغاً بدأ الإسلاميون بملئه»[٦]،حيث بدأ النفوذ الديني بالسطوع نتيجة لجهود الحكومة لثني دور المؤسسة الدينية التي تشكل عائقاً أمام الدولة ونشاطها وبهذا فإن ما حدث أبان أحداث صفر مثَّل قوة مجابهة للبعث وللشيوعيين على حد سواء.

بالرغم من محاولة حزب البعث تقليص حليفهم

في الجبهة الحزب الشيوعي جماهيرياً، لذا ليس من الغريب أنه حينما يثار التحدي الإسلامي ضد الدولة خلال عقد السبعينيات اختار الحزب الشيوعي مرة أخرى جانب حزب البعث كونه على ما يبدو يمثل التيار العلماني، فكانت الحركات السياسية المحرِّضة دينياً تعمل بشكلٍ سرّي منذ عام ١٩٥٧، وكان في مقدمة تلك المجاميع حزب الدعوة الذي أسسه محمد باقر الصدر[٧]، وقد تأُسس كردّ فعل لمناهضة المد الشيوعي ومقاومة العلمانية، فشعرت قيادة الحزب الشيوعي العراقي أن الوقت قد حان لشجب، ما تسميها بـ«الرجعية» السياسية الدينية[٨].

ولهذا فان الحليفين البعث – الحزب الشيوعي اصطفّا هذه المرة تجاه القوى الدينية المتمثلة بقوى المرجعية الدينية التي وصفها بيان للشيوعيين بأنها قوى «رجعية»، ولهذا أصدر توجيهاً داخلياً أكد فيه بأن الوضع الداخلي «يشهد حالياً تفاقماً في النشاطات التآمرية الموحى بها من قبل الأوساط الإمبريالية والرجعية، أن هذا التفاقم في الوقت الحاضر يستغل المشاعر الدينية والطائفية بأعمال إستفزازية تحت هذه الواجهات بمناسبة أربعينية الإمام الحسين عليه السلام، ويبدو من الوقائع التي جرت خلال الأيام السابقة أن النشاط «الديني الطائفي» المعادي للسلطة الوطنية، ما هو إلا ستار لمؤامرة رجعية إمبريالية تستهدف المسيرة الثورية لبلادنا، إن حزبنا الشيوعي العراقي يقف بحزم إلى جانب السلطة الوطنية، وحزب البعث الحليف، ويعتبر هذه النشاطات التآمرية المعادية تحت أي صورة ظهرت موجهة الى مجموع شعبنا المناضل وجماهيره الكادحة ومكتسباته التقدمية، إن المكتب السياسي يدعو منظمات حزبنا، والرفاق كافة الى رفع اليقظة ومراقبة النشاطات التآمرية والاتصال بمنظمات حزب البعث العربي الاشتراكي الحليف، وتنشيط لجان الجبهة الوطنية والقومية التقدمية لغرض التنسيق للقيام بأعمال مشتركة ضد التآمر وإعمال التخريب والاستفزاز»[٩].

من المعطيات المتوفرة، أن اشتداد نقمة الشيعة يعود الى ان القيود المتشددة المفروضة على زيارة العتبات المقدسة والمزارات الدينية، أدت إلى حصول أضرار اقتصادية فقد أدى الحظر الى تقليص نفوذ العوائل التي تتولى قيادة الشعائر الحسينية، وبوجه خاص في النجف، وهي في:

منع زيارة الأربعين

حقيقة الأمر تعدُّ أكبر تحد لحكومة البعث التي بدأت تعمل لعلمنة الدولة والعمل على إبعاد أي دور لقوى أخرى تعمل لتقويض قوة ونفوذ سلطة البعث، فكان من ضمن الاختبارات التي بدأتها الحكومة على مستوى الجماهير، محاولة منع المواكب الحسينية لخوفهم بأن وراءها دوافع سياسية تقوض قوة الدولة، وبدأت تلك المحاولات لمنع زيارة الاربعين في عام ١٩٧٧ وهي العادة المتوارثة عن الآباء والأجداد[١٠].

كان المبرر لفرض الحظر على الزيارة حسب الإدعاء الحكومي ما قيل عن إلقاء القبض على عميل سوري مزعوم بأنه اعترف بوجود مؤامرة لزرع قنبلة موقوتة في ضريح العباس عليه السلام في كربلاء وحذّرت الأجهزة الأمنية قادة المواكب والزوار من

مغبة المجيء، غير أن شعوراً بالتحدي كان يلوح في أجواء حشود الزوار، وقاد ذلك التحدي مجموعة من الشبان من محافظة النجف وكان قائد المجموعة أحد شباب النجف ويدعى محمد البلاغي، وكانت المجموعة تتألف من حوالي إثني عشر شاباً ينحدرون بصورة رئيسة من محلتي البراق والعمارة، وكان معظمهم طلبة أو جنوداً في العشرينيات من أعمارهم وينتمون الى عوائل من صغار التجار، فإن المجموعة شكلت مركزاً عفوياً للقيادة[١١]،إضافة لدور رجال الدين لشحذ همم الزوار ومنهم محمد باقر الصدر، وتقديم الأموال للمواكب الحسينية[١٢].

في حين يعطي حنا بطاطو تصوراً آخر لأسباب النقمة للشيعة بانها كانت بسبب نقص تدفق مياه الفرات لأراضيهم، والقيود التي فرضت على حلقات الدراسة في الحوزة الدينية والإجراءات التي فرضتها الحكومة على زيارة الاربعين خوفاً من اضطراب الاوضاع هناك[١٣].

تفجر الانتفاضة

ويبدو أن سياسة التحريض تعكس المزاج السائد في النجف. وفي يوم الجمعة المصادف ١٥صفر وزعت المجموعة مناشير بخط اليد تحث النجفيين والزوار على المشاركة في مواكب الأربعين الى كربلاء، فبدأت مجاميع الزوار مسيرتها من النجف في طريقها إلى كربلاء على الرغم من التحذيرات الحكومية وحاولت الحكومة أن تمنع المسيرة لكنها لم تستطع إيقاف التدفق البشري لحوالي (٣٠) الف شخص، غير أن الصدامات في بدايتها كانت محدودة وفي اليوم التالي وصلت الى خان النص، وهنا فتحت قوات الأمن النار على الزائرين الذين بدورهم بدأوا بالهجوم على مركز شرطة خان النص[١٤]، قرب منطقة الحيدرية، وهم يهتفون «يا صدام شيل إيدك، شعب العراق ما يريدك»[١٥]، وعلى أثر ذلك حاصر اللواء المدرس السادس للجيش تعززه المروحيات جموع الزائرين[١٦]،هكذا عرف أهالي الجنوب يومين أسودين لتأديتهم زيارة الاربعين.

وكانت نتيجة المواجهات التي حدثت بين الطرفين، وقتلت القوات الحكومية من جانبها عدداً غفيراً من الزوار، وتم اعتقال ألفي مواطن من بينهم السيد محمد باقر الحكيم. ويبدو من مجرى الأحداث الفعلي أن النظام استخدم تلك الحادثة ذريعة لثني أي تجمهر قد يكون في المستقبل قوة رئيسة تهدد الحكومة العراقية، وربطت الحكومة من جانبها أن سياستها التي اتبعتها تعود لمخاوفها ان يستغل النظام السوري المناوئ للبعث في العراق تلك التجمعات لصالحه، فبدأ حزب البعث في العراق يكثف حملته ضد نظرائه السوريين، حيث كان النظام مشتبكاً معهم بخلاف، إضافةً للخلاف الفكري فإن مشكلة مياه الفرات كانت من ضمن المشاكل التي طفت على السطح بعد تشييد السوريين لسد الطبقة[٧١].في هذه الأحداث برزت القوى الدينية من جديد، بعد محاولة حكومة البعث منذ مجيئها للسلطة ثني تلك المؤسسة واتهام بعض رموزها بالعمالة، كما حدث مع مهدي الحكيم نجل المرجع الديني محسن الحكيم.

في حين يعطي رشيد الخيون تحليلاً آخر للحادث: حصل ذلك الصدام وفيما يعرف بـ«خان النص» شباط

١٩٧٧ في الطريق الى كربلاء أثناء زيارة الأربعين وتظاهر أو تجمع الزائرون، بسبب تصرف مسؤول منطقة الفرات الأوسط (الحلة وكربلاء والنجف والديوانية) وعضو القيادة القطرية حسن العامري بما آثار الزائرين، فقد تجرأ على قلب قدور الطعام وإهانة أصحابها فحصل ما يشبه التمرد والعصيان، ورددت شعارات فحسب ذلك انتفاضة،استغلته الاحزاب الدينية من جانبها[١٨].

في ضوء التوصيف السابق، فإن بعض القوى المعارضة أرادت تحت غطاء الطقوس الدينية إثارة أجهزة النظام كي يتدخل في قضايا الإيمان بأسلوب غير منضبط، وغير عقلاني على أمل عزل البعث عن الجماهير بخلق حالة الخناق المتداخلة حيث من الصعب التمييز بين الصديق والعدو[١٩].

وفي خضم التصدي للمتظاهرين، يذكر عامر عبد الله الوزير الشيوعي في حكومة البعث عن أحداث صفر بالقول: «لدى وصول خبر هذه المسيرة والتوجس من عواقبها عجلت بالاتصال بأقرب من كان متيسراً وجوده من أعضاء المكتب السياسي للحزب الشيوعي، وهو ثابت حبيب العاني، حيث توجهنا الى دار العضو الآخر زكي خيري، وأعطيت لمن في داري رقم تلفون بيته، وخلال أقل من ساعة اتصل بي على التليفون عزة الدوري الذي بدا لي من صوته أنه متطيرٌ وكان يستنجد بالحزب الشيوعي في هذه اللحظة الحرجة، ثم أعطى التليفون لصدام حسين الذي بادر على طريقته الخاصة بإعلامي أن المسيرة قد شتت وألقي القبض على المئات منهم، وهم الآن في سجن رقم (١) في معسكر الرشيد، واشتغلت الخيزرانات على ظهورهم على حد تعبيره، قلت له: ليس هذا هو الأسلوب الصحيح، وليست هذه المسيرة حادثة اعتيادية لأنها معبأة بمشاعر دينية، مثل هذه الحالات تتطلب أقصى درجة من الاحتراس والتروي، وبالتالي فنحن نقترح أن نلتقي فوراً ويفضل اليوم ليلاً أو غداً صباحاً، فأجاب بالموافقة، وقد تم في اليوم التالي عقد إجتماع اللجنة العليا للجبهة وأَحضر إلى الاجتماع رئيس المخابرات آنذاك سعدون شاكر لكي يروي للحاضرين وقائع المسيرة، أكدنا على ضرورة التعامل بحذر مع هذه الحادثة باعتبارها مقطعاً من وضع متفاقم في المدن المقدسة وبين جمهور الشيعة، وهكذا توجهت انا وطارق عزيز الى مبنى وزارة الإعلام وهناك دار بيننا نقاش طويل امتد الى ما بعد منتصف الليل، واستكملناه في داره، أثار دهشتي وفزعي ذلك القدر من النقمة والقسوة في نظرته إلى هذه الحادثة، وبينت أنه يجب أن يجري التعامل مع هذه الحادثة بالتسامح والتعقل تساءل: هل هذه هي وجهة نظرك، أو وجهة نظر الحزب الشيوعي؟ أجبته بل هي وجهة نظر الحزب، قال إذن سأنقل ذلك الى السيد النائب فوافقته على ذلك»[٢٠]، وهذا يتناقض مع بيان (ح.ش.ع). في السياق نفسه، يذكر عدنان عباس مسؤول لجنة الفرات الأوسط عن موقف الحزب «استجابت قيادة الحزب الشيوعي على الفور لذلك وجرى اتصال هاتفي مع أحد ممثلي الحزب آنذاك بالوزارة المرحوم عامر عبد الله مع مقر منطقة الفرات في بابل مساء ذلك اليوم، وإستدعاء المرحوم محمد حسن مبارك[١٢] إلى المقر وإبلاغه بوجهة الحزب التي استجابت لطلب البعث»[٢٢]،

بدأ الحزب الشيوعي العراقي من جانبه يواكب التطورات من خلال صحافته وبياناته، أهم ما جاء في صحافته «قال ناطق بلسان وزارة الداخلية: إن زمرة خائنة مأجورة حاولت يومي الخامس والسادس من شباط الجاري استغلال استعداد الجماهير لتأدية مراسيم زيارة الأربعين لمرقد الإمام الحسين فاندست في أحد المواكب الراجلة لتنفيذ مآربها الدنيئة، وأضاف الناطق: إن الزمرة المجرمة صارت تهتف هتافات معادية للثورة وترفع شعارات مشبوهة بتخطيط وتوجيه من الدوائر الصهيونية والاستعمارية، وتحرض على التخريب»[٢٣]. في حين عبّر البيان الرسمي للحزب عن تلك الأحداث «بأن أعمال الاستفزاز والتخريب التي لجأت إليها بعض القوى الرجعية المرتبطة بأسيادها من الرجعيين والإمبرياليين وراء الحدود خلال الأيام الماضية والتي أعلن عنها بيان الناطق الرسمي، جاءت هذه الأحداث لتسجل مرحلة لا ينبغي التقليل من خطرها في النشاط المعادي لشعبنا ومصالحه الأساسية،إن النشاط الإستفزازي المشبوه الذي أقدمت عليه هذه الزمرة موجه ضد شعبنا وضد مكتسباته وفي مقدمتها سيادته الوطنية ونظامه التقدمي، ولايخدم سوى أعداء شعبنا من الإمبرياليين والصهيونيين»[٢٤].

وفي البيان الصادر من اجتماع اللجنة العليا للجبهة الوطنية والقومية التقدمية لإدانة الحادث وقد أكدت اللجنة في إجتماعها «إن الأعمال التخريبية التي تمت يوم (٥-٦) من شباط في محافظة النجف الأشرف إنما هي من صنع الدوائر الإستعمارية والرجعية الحاقدة على مسيرة الثورة ومكتسباتها الديمقراطية والتقدمية مما يطلب فضح أغراضها والقوى الرجعية والإستعمارية التي تقف وراءها ومواجهة مثل هذه الأعمال والمخططات بحزم، استنكرت اللجنة بشدة المحاولة المجرمة التي حاولت اجهزة النظام السوري القيام بها لتفجير صحن الإمام الحسين يوم الثلاثاء الثامن من شباط والتي لو تحققت لأودت بحياة الآلاف من ابناء الشعب المتجمعين هناك، بمناسبة زيارة الأربعين...»[٢٥].

محاكمة الزائرين

على أية حال، شكل مجلس قيادة الثورة محكمة خاصة لمحاكمة المتهمين بمسيرة كربلاء، وكانت برئاسة عزة مصطفى وعضوية حسن علي، وفليح حسن الجاسم[٢٦]، ولكن عزة الدوري عضو مجلس قيادة الثورة ترأس المحكمة الخاصة بعد رفض عزة مصطفى رئاسة المحكمة، بسبب الأحكام المسبقة بحق المعتقلين، فيذكر عامر عبد الله عن ذلك الموقف «اتصلت به من مكتبي وهنأته على هذا الموقف وشجعته على التمسك به»[٢٧]، ولكن هذا الموقف يشوبه الغموض عن دور مؤيد لـ (ح. ش.ع) في العلن واتصالات سرية لقادته لمواقف، ومنها موقف عزة مصطفى الرافض للقرارات المسبقة للمحكمة بحق المنتفضين.

من هذا وذاك، ثمنت اللجنة الوطنية والقومية التقدمية القرارات التي اتخذتها الحكومة تجاه زوار الاربعينية، وموقفها إزاء أحداث كربلاء، ودعت الى ضرورة وقوف القوى الوطنية والقومية التقدمية المؤتلفة تحت راية الجبهة «صفاً واحداً وإرادة واحدة في

مواجهة كل شكل من أشكال التخريب والتآمر ضد مسيرة العراق الثورية، ونظامه التقدمي»[٢٨]، وناقش الحزب الشيوعي العراقي في الاجتماع الاعتيادي للجنة المركزية تطورات الأوضاع بعد أحداث خان النص، وسمى هذه النشاطات «بالتآمرية المعادية»، وتحت أي صورة ظهرت، وبأي شعار تسترت»، يبدو أن المقصود بذلك الغطاء الديني الذي تستر به المنتفضون، مشيراً في الوقت ذاته الى» أن القوى المعادية تبتكر أساليب عمل وأشكال تنظيم ودعاية جديدة باستمرار، وتهتم باستغلال مشاعر فئات مختلفة من المجتمع، ومن بينها فئات الشبيبة، وهذا يفرض على قوى الثورة مواجهة هذه الأساليب الجديدة وردم الثغرات التي تنفذ منها، وإحباط مساعيها لاستغلال المشاعر الدينية والطائفية والقومية والاهتمام بالتعبئة الجماهيرية، وخصوصاً بين الشباب. إن اتخاذ إجراءات الحزم ضد النشاط التآمري حق من حقوق الثورة»[٢٩]، وهو بهذا يخول الحكومة باتخاذ ما يلزم من إجراءات بحق المنتفضين.

ان هذه التقارير بعيدة عن الواقع محاولين إعطاءها بعداً حزبياً وهو ما ينفيه المجتهد اللبناني آية الله السيد علي الأمين بما حدث في خان النص وكان من ضمن من تم القبض عليهم ذكر بأن «ما حدث في خان النص كان عملاً عفوياً لم يكن من صنع حزب الدعوة ولا غيره، وليس للسيد محمد باقر الصدر ولا لغيره يدٌ فيه، وكان ماشياً مع مواكب المشاية منطلقاً من النجف الى كربلاء وعند خان النخيلة علم بأن هناك مشكلة ما في خان النص، وكانوا يعتقلون عشوائياً»[٣٠].

وفي السياق نفسه، وفي خضم إجراء المحاكمات التي أجريت طلب صدام حسين من مكرم الطالباني «أن يغادر إحدى الجلسات، ويسارع في إخبار الحزب الشيوعي بأننا قد اخذنا بوجهة نظرهم وقد تبين لي أن الأخذ بوجهة النظر هذه كان تخفيض عدد المحكومين بالإعدام من(٤٦) الى عشرة[٣١]، وهو ما كُنّا نعمل بجهد لتداركه ونسعى لإطلاق سراح الجميع»[٣٢]، وكان قرار المحكمة كما يبدو قد جاء وفقاً لرغبات الحزب الشيوعي العراقي كي لا تتوسع موجة الاستياء والغضب الشعبي، فاتخذت المحكمة قراراً بالحكم بإعدام ثمانية أشخاص[٣٣].

وبصدد تلك الأحداث وتعامل الحزب الشيوعي مع حيثيات الموضوع بعد ان فقد رصيده بين صفوف الطبقة الكادحة، فيذكر الكادر الشيوعي صاحب جليل الحكيم تلك الأحداث» كان موقف الحزب مع الأسف الشديد مهادناً للسلطة بإجرائها القمعي، وقد وصف القيام بهذه الشعائر الدينية وبهذه الصورة الجماهيرية الواسعة، بأنها مؤامرة على السلطة الوطنية وأعتقد أنه وصف غير واقعي، وكان هذا الموقف مسايراً لرغبة السلطة وحزب البعث، وطبع البيان ووزع على المنظمات الحزبية، وبعد عدة أيام من إعدام الشهداء من أبناء مدينة النجف قمت بزيارة للمدينة، وانهالت عليّ الأسئلة كيف يقدم الحزب على إصدار هذا البيان المنافي للحقائق، وسألت بعض الرفاق: وهل وزعتم البيان؟ أجاب الرفاق من الصعوبة بمكان توزيع هكذا بيان، وإذا أطلعت الجماهير على هذا البيان فستلعن الحزب وتبتعد عنه على أقل تقدير»[٣٤].

في حين يعزو حميد مجيد موسى ذلك الموقف المتسم بالضبابية «هذه الأحداث حدثت وكان الحزب في تحالف مع حزب البعث، وهنا تجسدت بشكل أوضح إدارة النشاط الجبهوي، فكان بالضرورة ومطلوب من الحزب الشيوعي أن يتصدر هذه الأحداث مبيناً أحداثها بدليل أن الذي ظهر على صفحات الجريدة هو مجاراة للتحالف ولكنه لم يتطابق مع السلوك العملي للحزب الذي طالب رئيس الجمهورية، وأعضاء مجلس قيادة الثورة، بالتعامل القانوني المرن مع المنتفضين»[٣٥]، وهو على ما يبدو محاولة من قادة (ح.ش.ع) لنفي الموقف الرسمي لهم وعلى صفحات «طريق الشعب»، التي هي لسان حال الحزب والمعبرة عن موقفه الرسمي.

الهوامش

(١) رشيد الخيون، الاسلام السياسي بالعراق، جزءان، مركز المسبار للدراسات والنشر، الامارات العربية المتحدة،٢٠١٣،ص١١٩-١٢٠.

(٢) حنا بطاطو، العراق، ٣ أجزاء، دار القبس، الكويت، ١٩٩٣، ج٣، ص٤٠٥.

(٣) احمد راسم النفيس، الشيعة في العراق (جذور راسخة وواقع متغير)، دار اكيودي للثقافة، بيروت،٢٠١٤، ص٦٣.

(٤) رشيد الخيون، المصدر السابق، صص١١٩-١٢٠.

(٥) جعفر الحسيني، العراق على حافة الهاوية ١٩٦٨-٢٠٠٢، دارالروسم، بغداد، ٢٠١٥، ص١٣٣.

(٦) جوناثان ستيل، الهزيمة لماذا خسروا العراق، ترجمة بسام شيحا، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت،٢٠٠٩، ص٢٨٢.

(٧) محمد باقر الصدر: ولد عام ١٩٣٥ في مدينة الكاظمية من أسرة دينية معروفة، درس العلوم الدينية والفقهية في مدارس النجف، وهو من مؤسسي الحركة الإسلامية في العراق ولعب دوراً محورياً في جميع نشاطات الحركة الإسلامية في العراق منذ الخمسينيات. أسهم في تأسيس حزب الدعوة الإسلامية عام١٩٥٧، أعتقل مرات عديدة بسبب نشاطه السياسي المناهض للحكومة ووضع تحت الإقامة الجبرية وأُعدم في التاسع من نيسان ١٩٨٠، للمزيد ينظر: حسن لطيف كاظم الزبيدي، موسوعة الأحزاب العراقية، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت،٢٠٠٧، ص٤٤١.

(٨) **Johan Franzen،Red Star Over Iraq(Iraqi-Communism Before Saddam،Hurst Company Publishers،London،2011،p237.**

(٩) المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي، توجيه داخلي عاجل الى جميع اللجان الحزبية، ٨ شباط ١٩٧٧.

(١٠) صلاح الخرسان، حزب الدعوة الإسلامية (حقائق ووثائق، المؤسسة العربية للدراسات والبحوث الاستراتيجية، دمشق، ١٩٩٩، ص٢٢٠.

(١١) فالح عبد الجبار، المصدر السابق، صص٣٥٥-٣٥٦.

(١٢) صلاح مهدي علي الفضلي، الدور الوطني للمرجعية الدينية في تاريخ العراق الحديث والمعاصر١٩٠٠-٢٠٠٢، دار مصر مرتضى، بغداد،٢٠١١، ص٣٤٢.

(١٣) حنا بطاطو، العراق، ج٣، ص٤٠٥.

(١٤) حازم صاغية، بعث العراق(سلطة صدام قياماً وحطاماً)، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٣، ص١١٢.

(١٥) حنا بطاطو، الحركات السرية الشيعية في العراق، ترجمة وتعليق: شاكر العزاوي، منشورات مكتبة عدنان، بغداد، د.تاريخ، ص٤٢.

(١٦) حازم صاغية، المصدر السابق، ص١١٢.

(١٧) ماريون فاروق سلوغلت وبيتر سلوغلت، المصدر السابق، ص٢٦٤.

(١٨) رشيد الخيون، المصدر السابق، ص٢١٩.

(١٩) حنا بطاطو، المصدر السابق، ص٤٤.

(٢٠) عامر عبدالله،حقائق عن مسيرة -خان النص- في شباط ١٩٧٧، رسالة العراق (لندن)، العدد،٢١، أيلول ١٩٩٦، ص١٤.

(٢١) محمد حسن الشيخ حسين مبارك: ولد في النجف في عام١٩٣٢، خريج الدراسة المتوسطة أنتخب مرشحاً للجنة المركزية في المؤتمر الثالث، متخصص في العمل التنظيمي في منطقة الفرات الأوسط، خلال فترة الجبهة الوطنية كان عضو مكتب منطقة الفرات الأوسط، اختفى داخل العراق بعد انهيار الجبهة وأبعد عن اللجنة المركزية خلال مؤتمر الحزب الرابع ١٩٨٥ لبروز اتجاهات يمينية مغايرة لنهج الحزب حسب ذكر الوثائق، للمزيد ينظر: عبد العزيز عبد الصمد، دور المعلومات والخبرة الأمنية في متابعة الحزب الشيوعي العراقي، ص٢٤٤.

(٢٢) عدنان عباس، هذا ما حدث، مذكرات عدنان عباس، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠٠٨، ص١٧٧.

(٢٣) طريق الشعب، العدد ١٠٢٨، ١١ شباط ١٩٧٧.

(٢٤) طريق الشعب، العدد١٠٢٩، ١٣ شباط ١٩٧٧.

(٢٥) طريق الشعب، العدد١٠٣٢، ١٦ شباط ١٩٧٧.

(٢٦) طريق الشعب، العدد ١٠٣٩، ٢٤ شباط ١٩٧٧.

(٢٧) عامر عبد الله، حقائق عن مسيرة (خان النص)، ص١٤.

(٢٨) طريق الشعب،العدد١٠٣٣،١٧ شباط ١٩٧٧.

(٢٩) بيان الإجتماع الإعتيادي الكامل الثاني للجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي في ١٨شباط ١٩٧٧، للمزيد ينظر: الثقافة الجديدة، العدد ٩٢، نيسان ١٩٧٧، ص٨٨.

(٣٠) رشيد الخيون، المصدر السابق، ص٢٢٠.

(٣١) يبدو ان عامر عبد الله وقع في سهو في ذكر الرقم بأنه (عشرة) في حين ان الرقم الحقيقي هو ثمانية كما ذكر في حكم الإعدام، الباحث.

(٣٢) عامر عبد الله، حقائق عن مسيرة (خان النص)، ص١٤.

(٣٣) وهم كل من عباس هادي عجينة، وصاحب رحيم سماوي أبوكلل، ويوسف ستار عبد الحسن، وكامل ناجي مالو، ومحمد سعيد جواد، وغازي جودى محمد خوير، وناجح محمد كريم، ومحمد علي أحمد نعناع وبالسجن المؤبد لكل من وديع فاهم وداعة، وبلاسم ناجي جواد، وجمال احمد سالم، ومحسن جداوى جاسم علي نصير جاسم، وكامل خضير سباب، وباسم عبد الأمير حسون، وأموري رزاق عبد رحيمي، وهادي مرزه زاير، وعد سلطان حاجم، وراهي شاكر سماوي، وأسعد سلطان حاجم، وعباس كاظم جعفر فخر الدين، وحسن جبر حمزة، ومحمد باقر سيد محسن، كما قررت الإفراج عن (٨٧) شخصاً، للمزيد ينظر: (طريق الشعب)، العدد١٠٤٠، ٢٥ شباط ١٩٧٧.

(٣٤) صاحب جليل الحكيم، المصدر السابق، ص٢١٠.

(٣٥) مقابلة مع حميد مجيد موسى، (بتاريخ ٤/ ٩/ ٢٠١٢).

المصادر والمراجع

الوثائق غير المنشورة

١. المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي، توجيه داخلي عاجل الى جميع اللجان الحزبية، ٨ شباط ١٩٧٧.

٢. بيان الإجتماع الإعتيادي الكامل الثاني للجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي في ١٨ شباط ١٩٧٧.

الكتب العربية والمعربة

١. احمد راسم النفيس، الشيعة في العراق (جذور راسخة وواقع متغير)، دار اكيودي للثقافة، بيروت، ٢٠١٤.

٢. حسن لطيف كاظم الزبيدي، موسوعة الأحزاب العراقية، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٧.

٣. فالح عبد الجبار، العمامة والأفندية سوسيولوجيا خطاب وحركات الاحتجاج الديني، ترجمة أمجد حسين، منشورات الجمل، بيروت، ٢٠١٠.

٤. جوناثان ستيل،الهزيمة لماذا خسروا العراق، ترجمة بسام شيحا، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٠٩.

٥. حازم صاغية، بعث العراق (سلطة صدام قياماً وحطاماً)، دار الساقي، بيروت،٢٠٠٣.

٦. حنا بطاطو، الحركات السرية الشيعية في العراق، ترجمة وتعليق: شاكر العزاوي، منشورات مكتبة عدنان، بغداد، د. تاريخ.

٧. حنا بطاطو، العراق، (٣) أجزاء، دار القبس، الكويت، ١٩٩٣، ج٣.

٨. رشيد الخيون، الاسلام السياسي بالعراق، جزءان، مركز المسبار للدراسات والنشر، الامارات العربية المتحدة،٢٠١٣، ص١١٩-١٢٠.

٩. عامر عبد الله، حقائق عن مسيرة (خان النص) في شباط ١٩٧٧، رسالة العراق (لندن)، العدد، ٢١، ايلول ١٩٩٦.

١٠. عبدالعزيز عبد الصمد، دور المعلومات والخبرة الأمنية في متابعة الحزب الشيوعي العراقي.

١١. عدنان عباس، هذا ما حدث، مذكرات عدنان عباس، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠٠٨.

١٢. صلاح الخرسان، حزب الدعوة الإسلامية (حقائق ووثائق)، المؤسسة العربية للدراسات والبحوث الاستراتيجية، دمشق، ١٩٩٩.

١٣. صلاح مهدي علي الفضلي، الدور الوطني للمرجعية الدينية في تاريخ العراق الحديث والمعاصر١٩٠٠-٢٠٠٢، دار مصر مرتضى، بغداد،٢٠١١.

١٤. فالح عبد الجبار، العمامة والافندية سوسيولوجيا خطاب وحركات الاحتجاج الديني، ترجمة أمجد حسين، منشورات الجمل، بيروت،٢٠١٠.

١٥. ماريون فاروق سلوغلت وبيتر سلوغلت، من الثورة الى الديكتاتورية العراق منذ ١٩٥٨، منشورات الجمل، ٢٠٠٣.

الصحف

١. طريق الشعب، العدد١٠٢٨، ١١ شباط ١٩٧٧.

٢. طريق الشعب، العدد١٠٢٩، ١٣ شباط ١٩٧٧.

٣. طريق الشعب، العدد١٠٣٢، ١٦ شباط ١٩٧٧.

٤. طريق الشعب، العدد١٠٣٩، ٢٤ شباط ١٩٧٧.

٥. طريق الشعب، العدد١٧، ١٠٣٣ شباط ١٩٧٧.

٦. طريق الشعب، العدد١٠٤٠، ٢٥ شباط ١٩٧٧.

٧. مقابلة مع حميد مجيد موسى، (بتاريخ ٤/ ٩/ ٢٠١٢).

المصادر الاجنبية

- **Johan Franzen، Red Star Over Iraq (Iraqi Communism Before Saddam، Hurst Company Publishers، London، 2011.**